عيد الفطر المبارك بعنوان:

((الفرح الأكبر للصائم))

إن الحمد لله, نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ,ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, وسيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له ,ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ,وخيرَ الهدي هدي نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشرَ الأمور محدثاتها, وكلَ محدثة بدعة, وكلَ بدعة ضلالة, وكلَ ضلالة في النار.

عباد الله..

نحمد الله تبارك وتعالى الذي أكمل لنا عدة رمضان , وأعاننا على صيامه وقيامه وتلاوة القران فيه .

فهنيئا لمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا , وهنيئًا لمن غُفر ذنبُه, وعُتقت رقبتُه, واستجيبت دعوتُه في هذا الشهر المبارك.

وعزاءً لمن حُرِم خيرُه ,وبعدًا لمن لم يغفر له في شهر رمضان, فقد دعا جبريل ـ عليه السلام على من خرج رمضان ولم يغفر له, وأمَّن على ذلك نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعاء من خير الملائكة ,وتأمين من خير الأنبياء والمرسلين ,على هذا المحروم.

أيها المسلمون..

ان الفرحة اليوم تغمر الصائمين الذين اجتهدوا في عبادة ربهم في شهر رمضان , وإن الحسرة والندامة تظهرعلى المقصرين والمفرطين, فالصائمون في غاية الفرحة والسعادة, وأما المقصرون والمفرطون تعلو وجوههم الكآبة , ويملأ قلوبهم الحزن والأسا على ما فرطوا في جنب الله, فإنهم لا يفرحون كما يفرح الصائمون , وأي فرحة يرجونها؟ وأحوالهم كانت لا تبشر بخير, فأنى لهم الفرحة ؟

فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :" للصائم فرحتان, فرحٌ عند فطره, وفرحة عند لقاء ربه :" متفق عليه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال "للصائم فرحتان" ولم يقل للمفطررمضان,فليس له منها شيء.

فالفرحتان اللتان للصائم ,فرحة في الدنيا وفرحة في الآخرة, أما الفرحة التي في الدنيا فهي فرحتان, الفرحة الأولي عند غروب شمس كل يوم من رمضان, يفرح لأن الله تعالى أعانه على صيام ذلك اليوم, ويفرح بطعامه وشرابه, وانتهاء الجوع والعطش, وحلول الأجر إن شاء الله.

وأما الفرحة الثانية, فهي فرحة يوم العيد عند إكمال عدة رمضان, فيفرح لأن الله أتم له الصيام وأعانه عليه , ويفرح بهذا اليوم الذي جعله الله شعيرة من شعائر الدين ,فيفرح به المسلمون, فيجتمعون ويذكرون الله فيكبرونه ويهللون, ويصلون ويتزاورون, ويأكلون ويشربون, ويتوسعون في المباحات التي أباح الله لهم, فحُق لهم أن يفرحوا :{قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}[يونس:58].

عباد الله ..

هناك فرحة أكبر من هذه الفرحة, وهي الفرحة الكبرى يوم يلاقي الصائمُ ربَه , ويرى أجر صيامه فيدخل من باب الريان, ويتنعم في دار الجنان, وهذه الفرحة هي المقصود ة بقوله ـ صلى الله عليه وسلم :" وفرحة عند لقاء ربه " وهي الفرحة الأخروية التي أشرنا إليها آنفا.

وفي هذه الدقائق نذكر مقتطفات سريعة من فرحة الصائم المؤمن الموحد عند لقاء ربه.

ـ فأول هذه الفرحة عند موته وقت احتضاره وخروج روحه,حين تحضره الملائكة فتبشره برَوحٍ ورَيحان وربٍ غير غضبان , وتؤمّنه من عذاب النيران , وتسليه على مفارقة الأهل والخلان , وتبشره بنعيم غير فان,ورؤية الرحمن,ومغفرة من الله ورضوان.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت : 30 - 32]

وقال الله تعالى:{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } [يونس : 62 ، 63]

وروى أبوبكر بن أبي شيبة عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الملك الموكل بقبض الروح يقول له:" أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ "

ـ وفرحة أخرى في قبره عند سؤال منكر ونكير, إذ يثبته الله فيقول : "ربي الله, وديني الإسلام, ونبيي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ: " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ". قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ". رواه أحمد وغيره عن البراء رضي الله عنه.

ـ وفرحة اخرى حينما تتطاير الصحف, وتنشر الدواوين, وتوضع الموازين, والناس قد بلغت قلوبهم الحناجر خائفين, فيأخذ كتابه بيمينه فيطير فرحًا ويقول :{هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ }

فتثقل موازينه, ويعيش عيشةً راضية, .,ويجتمع مع أهله في جنات عالية ,قال تعالى:{ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} [القارعة : 6 ، 7]

وقال تعالى:{ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المؤمنون : 102]

وهكذا ينقل من فرحة إلى أخرى, ومن صغرى إلى كبرى, حتى يكون مستقره إلى جنة الخلد ومُلك لا يبلى , لا يجوع فيها ولا يعرى , ولا يظمأ فيها ولا يضحى, فلا يبغي عنها حولًا.

قال تعالى:{ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى } [طه : 118 ، 119]

وروى البخاري ومسلم عَنْ سَهْلٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ".

فهو في لذة وسرور, وفي روضة وحبور, يأكل ما يشتهي من لحم الطيور, ويشرب من اللبن والعسل والخمور, وينكح من أحسن الحور, ويسكن أعلى القصور .

قال تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ } [الروم : 15]

وقال تعالى:{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة : 17 - 26]

مشغولون بنعيم الجنة, في دار أمن وإقامة , لا خوف عليهم ولا هم يحزنون , قال تعالى:{ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس : 55 - 58]

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِين * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِين * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِين * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِين * لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيم }[الدخان:51-56]

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيم * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيم * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِين}[الطور:17-20]

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِين * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِين * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِين * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِين * لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيم }[الدخان:51-56]

وفوق هذا النعيم نعيم أعلى, ولذة أحلى, وهو النظر إلى المولى جلَّ وعلا.

قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }[يونس:26]

فالحسنى هي الجنة, والزيادة هي التمتع بالنظر إلى وجه خالقهم ومولاهم ـ سبحانه وتعالى ـ كما فسر بذلك المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما عند الإمام مسلم عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "

وفي رواية للترمذي وابن ماجه: ثم تلا هذه الآية: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }[يونس:26]

والله تعالى يقول:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : 22 ، 23]

ثم يكلمهم الرحمن , ويسلم عليهم المنان, والملائكة تدخل عليهم من كل باب تسلم عليهم وتكلمهم , وتبشرهم بما أعد الله لهم.

قال تعالى: {سَلاَمٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيم}[يس:58] وقال تعالى: { وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار }[الرعد:23]

وقال تعالى:{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر : 73]

فاشكروا الله أيها المسلمون على نعمة الإسلام, واشكروه على نعمة الهداية للإ يمان.

قال الله عن أهل الجنة:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : 43]

فحافظوا على هذه النعمة بشكرها, والاستمرار عليها, وادعوا الله أن يثبتكم عليها .

فان الله يقول: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}[إبراهيم:7]

ويقول:{ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران:144]

ـ داوموا على الأعمال الصالحة, واستمروا عليها ,كونوا كما كنتم عليه في شهر رمضان المبارك, من فعل الطاعات واجتناب المعاصي والمخالفات , فإن الاستمرار على الطاعات علامة على قبولها, ولا تكونوا كأصحاب العبادات الموسمية, الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان, ويعصونه في شوال وشعبان , فهؤلاء عبَّاد لأهوائهم , والله غنيٌ عنهم, ولا تنفع العبدَ عبادته المؤقتة .

ـ فداوموا على الصيام بعد رمضان, والمحافظة على الصلوات بأوقاتها ,ومع جماعة المسلمين, وأكثروا من النوافل, وتفقدوا المساكين بالصدقات , فإن المداومة على الأعمال الصالحة من أسباب حسن الخواتم , والإكثار من النوافل من أسباب محبة الله للعبد .

فقد روى البخاري عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال:" إنما الأعمال بالخواتم :"

وروى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث القدسي أن النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال:" ولايزال يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه " الحديث

ـ كونوا مستعدين للقاء الله في كل وقت وحين,وذلك بالعمل بما يرضيه واجتناب مساخطه ومعاصيه , فإن الموت يأتي بغتة, لايستأذن أحدًا, ولا

يرحم صغيرًا, ولا يوقِّر كبيرًا ,ولا يدرى أحدٌ متى سيموت, أيموت في رمضان أم في شوال , أم في شعبان؟ قال تعالى: { فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون}[الأعراف:34]

فيندم المفرطون, ويتمنون الرجوع إلى الدنيا كيما يعملون الصالحات, قال تعالى:{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون : 99 ، 100]

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا, وتوفنا وأنت راضٍ عنا , اللهم أغفر لنا وارحمنا, وتب علينا واعف عنا , وعلى دينك ثبتنا, وللسنة الغراء وفقنا ,اللهم تقبل صلاتنا وصيامنا وصالح أعمالنا.

اللهم اجعلنا من المقبولين, ولا تجعلنا من المحرومين , اللهم اجعلنا ممن وُفِقَ لصيام رمضان وقيامه إيمانًا واحتسابًا ,اللهم اجعلنا ممن وفق لقيام لية القدر.

اللهم اجعلنا ممن غفرذنبه في شهر رمضان, وعتقت رقبته من النيران,برحمتك يارحيم يارحمن.